

وجدي الملاط...بمثله تفتخر الأوطان

سقط عليّ الخبر سقوط الصاعقة في ليلة ربيعية صافية، على غير عادة سقوط الصواعق، وأنا أقود سيارتي وبجانبني صديق جمعني به رحاب قاعات العلم والتربية.

لم تصدق أذناي هذا الخبر، وما عدت أقوى على القيادة السليمة، فقد اضطربت اوصالي، وتلعثم لساني، واهتزت يداي، ودبّ الاضطراب في عقلي، فقلت لصديقي وكلماتي تتسارع وتتدافع:

يا لله عليك، من أين جئت بهذا الخبر؟ ابحث في الجريدة... دعني أقرأ ما كرهت عيني أن تقرأه، والقلب ينبض بنبضات القلق، وعقلي يأبى أن يصدق ما يسمعه، وقد امتلأ محجري بماء الحزن الشديد. ورأيت خبر الوفاة بأحرفه المتشحة بالسواد، ويا ليت عيني تحجرتا ولم تريا كلمة، بل حرفاً واحداً مما كتب فيه. فمنذ ايام عدة، تحدثت مع زوجتي عن شوقي الشديد الى زيارة الرئيس وجدي الملاط في منزله، الذي طالما احاطتني أسرته فيه بخيوط المحبة الحريية في لطفها ورقتها ومنايتها وصدقها، وكان قلبي وعقلي كانا يحضاني على زيارته وينبئاني... أسرع يا سمير، حبيبك الذي تشناق اليه على موعد مع القدر! وكان هذه الزيارة سوف تكون الأخيرة، ويا ليتها قد تحققت، لا تفرس في وجه ابوي رافقته أكثر من خمس عشرة سنة. ولكن ... وقفت اشغال الدنيا المتلاحقة أمامي، وأنا اعط النفس بزيارته في القريب العاجل.

• ويا لهف نفسي على موعد قد فات ولم يتحقق!

• ويا لهف نفسي على من كان يحوطني برعايته ويلاص وجنتي بدفء راحتيه الحائيتين، متذكراً قول الشاعر معروف الرصافي "حنو المرضعات على الفطيم!"

• ويا لهف نفسي على أب امتزجت روحي بروحه فما عدت أقوى على البعد، رؤية، أو سماعاً، أو اخباراً يأتييني ممّن يشعر بوجودي الحميم الى وجدي الملاط!

وتكرّر الأيام حُبلى بالذكريات الجميلة، ذكرى اللقاءات الأدبية الممتعة، عن تاريخ مجيد مضى لشاعر الأرز شبلي الملاط، وأدب رفيع، وآراء سديدة، ومواقف جريئة، وكلمات شريفة عذبة عذوبة الماء الزلال في فم العطاش... أدب راق جمع بين شعر الوالد شبلي الأبوي، ونثر الابن وجدي الوفي، هيهات ان تكشف الايام عن مثله في صفحات الخلود والمجد.

ما أتيتّه مرة الا اخجلني بجميل اخلاقه الكريمة، في الاستقبال وتبادل الاحاديث، وعند المغادرة على كره شديد مني. وكان كل من في مكتبه، ندى وسمير ويوسف وهم اخوة اعزاء افتخر بهم، لا يتوانى عن امتلاك عقلي وقلبي، فهم الصدى الطيب والشذا العطر، لكل همسة فم، أو لمسة يد، أو نفثة روح، أو نظرة عين، أو فكرة عقل، أو نبضة قلب، جاد بها الرئيس وجدي الملاط وهو يملأ أجواء مكتبه بحضوره ولقاءاته. وكان الدكتور شبلي وجدي الملاط يزيد المجلس محبة وفرحاً باللقاء، يشير بفخر واعتزاز الى تراث جده الادبي، والى تراث أخيه القاضي تامر الملاط، مشدداً على أهمية دور الدولة في النهوض بأدباء لبنان.

ما أجملها أوقاتاً! ضمنى فيها لقاء الصداقة والمحبة مع الدكتور هيام الملاط وولديه في مكتب عمه وجدي، فقد جمعتهما عدالة القضاء، وصنعة الأدب.

وكان شبلي الملاط محط الاحاديث المتنوعة، في اغراضه الشعرية، وفنونه الادبية، وادواره الاجتماعية، ويكفيه فخراً، انه مثل لبنان وسويا في احتفال تنصيب احمد شوقي اميراً على امارة الشعر في القاهرة سنة ١٩٢٧م.

ولم يترك الدكتور هيام الملاط ناحية ادبية في شعر عمه، الا وكان له فيها اسهام دقيق في النقد والتوجيه وابرار ما له حق الابرار، افتخارا وتأكيداً وتعظيماً، فقد هضم حق شبلي الملاط في وطنه، والاوطان لا تقوم الا على الوفاء تجاه رجالاتها وعظمائها.

وما أعظمها متعة! عندما ضمنا مجلس اداب وذكريات مجيدة عن شاعر الارز شبلي الملاط، بمشاركة أمير الزجل في لبنان الشاعر والاديب وليم صعب، طوال ايام وساعات مديدة، تحدثت فيها عن صديق عمره، بشوق شابته امارات الحزن وعلامات الافتخار، دون أن يقوى الزمن الطويل على افقاده ذكرى علائقه المتينة والجميلة، برفيق حياته شبلي الملاط.

يا الله...

هذا وجدني الملاط في رحاب عرشك، فأُنزل عليه رحمتك، وضمّه الى مَنْ جعلتهم في كنفك، انك على كل شيء قدير.

بقلم الدكتور سمير كبريت